

سُورَةُ قٓ



مكية/آياتها (٤٥)

قال الحسن: غير قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ إلى قوله: ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾. والمنقول عن ابن عباس: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الآية. وهي خمس وأربعون آية بالإجماع.

فضلها: أُبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال: «ومن قرأ سورة ق، هوَّن الله عليه تارات الموت وسكراته». أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: ومن أدمن في فرائضه ونوافله سورة قٓ، وسَّع الله في رزقه، وأعطاه كتابه بيمينه، وحاسبه حساباً يسيراً.

● **تفسيرها:** لما ختم الله تلك السورة بذكر الإيمان وشرائطه للعبيد، افتتح هذه السورة بذكر ما يجب الإيمان به، من القرآن وأدلة التوحيد، فقال:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾﴾.

ولم يُعَدّ «قٓ» آية، ولا نظير له غير نون وصاد، لأنه مفرد. وكل مفرد فإنه لا يعد لبعده من شبه الجملة. فأما المركب مما أشبه الجملة، ووافق رؤوس الآي، فإنه يعد مثل ﴿طه﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿الٓمٓ﴾ وما أشبه ذلك.

اللغة: المجيد: الكريم المعظم. والعظيم: المكرم، والمجد في كلامهم: الشرف الواسع، يقال: مَجُد الرجل ومَجَد مجداً، إذا عظم وكرم، وأصله من قولهم: مجدت الإبل مجوداً، إذا عظمت بطونها من كثرة أكلها، من كلأ الربيع. وأمجد فلان القوم قِرىً، قال:

أتيناه زوَّاراً فأمجدَنا قِرىً مِنَ البَثِّ والدّاء الدَّخيلِ المُخامِرِ[1]

والعجيب والعجب: هو كل ما لا يعرف علته ولا سببه. والمريج: المختلط الملتبس، وأصله إرسال الشيء مع غيره من المرج. قال الشاعر:

(١) أمجدنا قِرىً أي: آتانا ما كفى وفضل. وخامر الداء فلاناً: خالط جوفه أي: وفدنا عليه فآتانا من بثّ الشكوى، وما به من الداء الدفين، ما كفانا وفضل.

فجالَتْ فالتمسَتْ بهِ حِشاها فخرَّ كأنَّهُ غُصنٌ مَريجُ

أي التبس بكثرة شعبه، ومرجت عهودهم وأمرجوها أي: خلطوها ولم يفوا بها.

● **الإعراب:** جواب القسم في ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ محذوف يدل على ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ وتقديره: إنكم مبعوثون، فقالوا: أنبعث إذا متنا وكنا تراباً. ويجوز أن يكون الجواب ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾، وحذفت اللام لأن ما قبلها عوض منها، كما قال: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾. والمعنى: لقد أفلح. والعامل في: ﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾ مضمر، والتقدير: أإذا متنا بعثنا.

● **المعنى:** ﴿قٓ﴾ قد مر تفسيره. وقيل: إنه اسم من أسماء الله تعالى، عن ابن عباس. وقيل: هو اسم الجبل المحيط بالأرض من زمردة خضراء، خضرة السماء منها، عن الضحاك وعكرمة. وقيل معناه: قضي الأمر أو قضي ما هو كائن، كما قيل في حم: «حُم الأمر»(١). ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ أي: الكريم على الله العظيم في نفسه، الكثير الخير والنفع، لتبعثن يوم القيامة. وقيل: تقديره: والقرآن المجيد أن محمداً رسول الله ﷺ بدلالة قوله: ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: ما كذبك قومك لأنك كاذب، بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم، وحسبوا أنه لا يوحى إلا إلى ملك. ﴿فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ أي: معجب، عجبوا من كون محمد ﷺ رسولاً إليهم، فأنكروا رسالته، وأنكروا البعث بعد الموت، وهو قوله: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ أنبعث ونرد أحياء. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك الرد الذي يقولون ﴿رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ أي: رد بعيد عن الأوهام، وإعادة بعيدة عن الكون، والمعنى: إنه لا يكون ذلك لأنه غير ممكن. ثم قال سبحانه: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي: ما تأكل الأرض من لحومهم ودمائهم، وتبليه من عظامهم، فلا يتعذر علينا ردهم. ﴿وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ أي: حافظ لعدتهم وأسمائهم، وهو اللوح المحفوظ، لا يشذ عنه شيء. وقيل: حفيظ أي: محفوظ عن البلى والدروس، وهو كتاب الحفظة الذين يكتبون أعمالهم. ثم أخبر سبحانه بتكذيبهم، فقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ والحق: القرآن. وقيل: هو الرسول. ﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ أي: مختلط، فمرة قالوا: مجنون، وتارة قالوا: ساحر، وتارة قالوا: شاعر. فتحيروا في أمرهم(٢) لجهلهم بحاله، ولم يثبتوا على شيء واحد، وقالوا للقرآن: إنه سحر مرة، وزجر(٣) مرة، ومفترى مرة. فكان أمرهم ملتبساً عليهم. قال الحسن: ما ترك قوم الحق إلا مرج أمرهم.

●●●

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً

(١) حُمّ الأمر بالبناء للمجهول أي: قُضي.
(٢) وفي بعضها: أمره.
(٣) وفي المخطوطة: رجز.

وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾.

● **اللغة:** الفروج: الشقوق والصدوع، وفي الحائط فُرجة ـ بضم الفاء ـ، فإذا قيل: فَرجة ـ بفتح الفاء ـ فهو التفضي من الهم. قال:

ربما تكرهُ النفوسُ من الأمـ ـرِ له فَرجة كَحَلِّ العِقالِ[1]

أي: رب شيء تكرهه النفوس. و«ما» هاهنا نكرة موصوفة. والفَرْج: موضع المخافة، وفي عهد الحجاج: إني وليتك الفرجين، يعني: خراسان وسجستان. والحصيد: ما حصد من أنواع النبات. والباسقات: الطِّوَال، وبَسق النخل بُسوقاً. والطلع: طلع النخلة، سمي بذلك لطلوعه. والنضيد: ما نضد بعضه على بعض.

● **الإعراب:** ﴿كَيْفَ﴾ يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال، ويجوز أن يكون مصدراً ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ في موضع نصب على الحال، تقديره: غير مفروجة. و﴿وَالْأَرْضَ﴾ منصوبة بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر، وتقديره: ومددنا. الأرض مددناها ﴿تَبْصِرَةً﴾ مفعول له، وكذلك ﴿وَذِكْرَىٰ﴾، ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ تقديره: وحب النبات الحصيد، و﴿الْحَصِيدِ﴾ صفة لموصوف. و﴿بَاسِقَاتٍ﴾ نصب على الحال، وكذلك الجملة التي هي ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ حال بعد حال. و﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ مفعول له، أي: أنبتنا هذه الأشياء لرزق العباد، ويجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً، أعني المصدر، وتقديره: رزقناهم رزقاً.

● **المعنى:** ثم أقام سبحانه الدلالة على كونه قادراً على البعث، فقال: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ﴾ أي: ألم يتفكروا في بناء السماء مع عظمها، وحسن ترتيبها وانتظامها، ﴿كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ بغير علاقة ولا عماد ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ بالكواكب السيارة، والنجوم الثوابت ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ أي: شقوق وفتوق. وقيل معناه: ليس فيها تفاوت واختلاف، عن الكسائي. وإنما قال: فوقهم بنيناها، على أنهم يرونها ويشاهدونها ثم لا يتفكرون فيها. ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ أي: بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أي: جبالاً رواسخ تمسكها على الميدان، ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ أي: من كل صنف حسن المنظر، عن ابن زيد. والبهجة: الحسْن الذي له روعة عند الرؤية، كالزهرة والأشجار النضرة، والرياض الخضرة. وقال الأخفش: البهيج: الذي مَن رآه بهج به، أي: سر به، فهو بمعنى المبهوج به. ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ﴾ أي: فعلنا ذلك تبصيراً ليبصر به أمر الدين، وتذكيراً وتذكراً ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ راجع إلى الله تعالى.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا﴾ أي: مطراً وغيثاً بعظم النفع به ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ﴾ أي: بالماء ﴿جَنَّاتٍ﴾ أي: بساتين فيها أشجار تشتمل على أنواع الفواكه المستلذة، ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ أي: حب البر والشعير، وكل ما يحصد، عن قتادة. لأن من شأنه أن يحصد إذا تكامل واستحصد،

---

(١) مر البيت في ج٦.

والحب هو الحصيد، فهو مثل ﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ ومسجد الجامع، ونحوهما: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ أي: وأنبتنا به النخل طويلات عاليات ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ أي: لهذه النخل الموصوفة بالعلو طلع نُضِّد بعضه على بعض، عن مجاهد وقتادة. والطلع: الكُفُرَّى، وهو أول ما يظهر من ثمر النخل قبل أن ينشق، وهو نضيد في أكمامه، فإذا أخرج من أكمامه فليس بنضيد. ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ أي: أنبتنا هذه الأشياء للرزق، وكل رزق فهو من الله تعالى بأن يكون قد فعله أو فعل سببه، لأنه مما يريده، وقد يرزق الواحد منا غيره، كما يقال: رزق السلطان جنده. ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ﴾ أي: بذلك الماء الذي أنزلناه من السماء ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ أي: جدباً وقحطاً لا تنبت شيئاً، فنبتت وعاشت. ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ من القبور، أي: مثل ما أحيينا هذه الأرض الميتة بالماء، نحيي الموتى يوم القيامة، فيخرجون من قبورهم، فإن من قدر على أحدهما قدر على الآخر، وإنما دخلت الشبهة على هؤلاء من حيث إنهم رأوا العادة مستمرة في إحياء الموات من الأرض بنزول المطر، ولم تجر العادة بإحياء الموتى من البشر، ولو أنعموا الفكر، وأمعنوا النظر، لعلموا أن من قدر على أحد الأمرين قدر على الآخر.

● ● ●

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ
لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ
بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ
أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن
قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾
وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾.

● **القراءة:** في الشواذ: قراءة أبي بكر عند خروج نفسه: «وجاءت سكرة الحق بالموت» وهي قراءة سعيد بن جبير وطلحة، ورواها أصحابنا عن أئمة الهدى عليهم السلام.

● **الحجة:** قال ابن جني: لك في الباء ضربان من التقدير: إن شئت علقتها بنفس «جاءت» كقوله: جئت بزيد، أي: أحضرته. وإن شئت علّقتها بمحذوف وجعلتها حالاً، أي: وجاءت سكرة الحق ومعها الموت، كقولك: خرج بثيابه، أي: وثيابه عليه. ومثله قوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ أي: وزينته عليه، وكقول أبي ذؤيب:

يَـعْـثُـرْنَ فـي حَـدِّ الـظُّـبـاتِ كـأنـمـا كُـسِـيَـتْ بُـرودَ بـنـي يَـزيـدَ الأذْرُعُ[1]

(١) الظُبة: حدّ السيف، أو السنان، ونحوه. والمراد بحد الظبات: المضارب بأسرها، يقول: إنَّ بقر الوحش أيضاً لا تنجو من الموت، فيعثرن وهن في حد الظبات من السيف، بجرح الصياد إياهن، فتحمر أذرعهم من الدم، كبرود بني يزيد (وهي برود فيها خطوط حمر) وقد مر البيت أيضاً.

أي: يعثرن وهن في حد الظبات. وكقول الآخر:

ومُـسْـتَـنَّـةٍ كـاسْـتِـنَـانِ الـخَـروفِ وقـد قَـطَـعَ الـحَـبْـلَ بـالـمِـرْوَدِ[1]

أي: قطعه وفيه مِرْوَدُه. وكذلك قراءة العامة. ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾: إن شئت علقت الياء بنفس «جاءت»، وإن شئت علقتها بمحذوف[2]: وجاءت سكرة الموت ومعها الحق.

● **اللغة:** يقال: عييتُ بالأمر: إذا لم تعرف وجهه، وتعذّر ذلك عليك، وأعْيَيت: إذا تعبت، وكل ذلك من التعب، إلا أن أحدهما في الطلب، والآخر فيما وقع الفراغ عنه. والوريد: عِرقٌ في الحلق، وهما وريدان في العنق، عن يمين وشمال، وكأنه العرق الذي يُرد إليه ما ينصبُّ من الرأس. وحبل الوريد: حبل العاتق، وهو منفصل من الحلق إلى العاتق. والرقيب: الحافظ. والعتيد: المعد للزوم الأمر.

● **المعنى:** ثم ذكر سبحانه الأمم المكذِّبة تسلية للنبي ﷺ وتهديداً للكفار، فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ من الأمم الماضية ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾، فأغرقهم الله ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ وهم أصحاب البئر التي رسُّوا نبيهم فيها، بعد أن قتلوه، عن عكرمة. وقيل: الرس: بئر قتل فيها صاحب ياسين، عن الضحاك. وقيل: هم قوم كانوا باليمامة على آبار لهم، عن قتادة. وقيل: هم أصحاب الأخدود. وقيل: كان سحق النساء في أصحاب الرس. وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام. ﴿وَثَمُودُ﴾ وهم قوم صالح ﴿وَعَادٌ﴾ وهم قوم هود ﴿وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾ أي: وكذب فرعون موسى وقوم لوط لوطاً، وسماهم إخوانه لكونهم من نسبه. ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ وهم قوم شعيب ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ وهو تبع الحميري الذي ذكرناه عند قوله: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾. ﴿كُلٌّ﴾ من هؤلاء المذكورين ﴿كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ المبعوثة إليهم، وجحدوا نبوتهم ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ أي: وجب عليهم عذابي الذي أوعدتهم به، فإذا كان مآل الأمم الخالية، إذ كذبوا الرسل، الهلاك والدمار، وإنكم معاشر العرب قد سلكتم مسالكهم في التكذيب والإنكار، فحالكم كحالهم في التباب والخسار.

ثم قال سبحانه جواباً لقولهم: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾، ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ أي: أفعجزنا حين خلقناهم أولًا ولم يكونوا شيئاً، فكيف نعجز عن بعثهم وإعادتهم؟ وهذا تقرير لهم لأنهم اعترفوا بأن الله هو الخالق، ثم أنكروا البعث. ويقال لكل من عجز عن شيء: عيي به. ثم ذكر أنهم في شك من البعث بعد الموت، فقال: ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: بل هم في ضلال وشك من إعادة الخلق جديداً. واللبس منعٌ من إدراك المعنى بما هو كالستر له، والجديد: القريب الإنشاء ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أراد به الجنس يعني ابن آدم ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ أي: ما يحدث به قلبه وما يخفى ويُكِنُّ في نفسه، ولا يظهره لأحد من المخلوقين. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ بالعلم ﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ وهو عرق يتفرق في البدن يخالط الإنسان في جميع

---

(١) المرود: حديدة توتد في الأرض يشد فيها حبل الدابة وقد مر البيت في ج٣.

(٢) [بمعنى].

أعضائه. وقيل: هو عرق الحلق، عن ابن عباس ومجاهد. وقيل: هو عرق متعلق بالقلب، يعني: نحن أقرب إليه من قلبه، عن الحسن. وقيل معناه: نحن أعلم به ممن كان منه بمنزلة حبل الوريد في القرب. وقيل معناه: نحن أملك له من حبل وريده مع استيلائه عليه وقربه منه. وقيل معناه: نحن أقرب إليه بالإدراك من حبل الوريد لو كان مدركاً.

ثم ذكر سبحانه أنه على علمه به، وكَّل به مَلَكَيْن يحفظان عليه عمله إلزاماً للحجة، فقال: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ فـ«إذ» متعلقة بقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ أي: ونحن أعلم به وأملك له حين يتلقى المتلقيان، وهما المَلَكَان يأخذان منه عمله فيكتبانه كما يكتب المملى عليه. ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أراد عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، فاكتفى بأحدهما عن الآخر. والمراد بالقعيد هنا: الملازم الذي لا يبرح، لا القاعد الذي هو ضد القائم. وقيل: عن اليمين كاتب الحسنات، وعن الشمال كاتب السيئات، عن الحسن ومجاهد. وقيل: الحفظة أربعة: مَلَكَان بالنهار، ومَلَكَان بالليل، عن الحسن. ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أي: ما يتكلم بكلام فيلفظه، أي: يرميه مِن فيه إلا لديه حافظ حاضر معه. يعني الملك الموكل به، إما صاحب اليمين، وإما صاحب الشمال، يحفظ عمله لا يغيب عنه، والهاء في ﴿لَدَيْهِ﴾ تعود إلى القول أو إلى القائل.

وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطىء أو المسيء، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها، وإلا كتب واحدة».

وفي رواية أخرى قال: «صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال، فإذا عمل حسنة كتبها له صاحب اليمين بعشر أمثالها، وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين: أمسك، فيمسك عنه سبع ساعات، فإن استغفر الله منها لم يكتب عليه شيء، وإن لم يستغفر الله كتب له سيئة واحدة».

وعن أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى وكَّل بعبده مَلَكَيْن يكتبان عليه، فإذا مات قالا: يا رب قد قبضت عبدك فلاناً فإلى أين؟ قال: سمائي بملائكتي يعبدونني، وأرضي مملوءة من خلقي يطيعونني، اذهبا إلى قبر عبدي فسبّحاني، وكبّراني، وهلّلاني، فاكتبا ذلك في حسنات عبدي إلى يوم القيامة».

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: جاءت غمرة الموت وشدته التي تغشي الإنسان وتغلب على عقله بالحق، أي: أمر الآخرة، حتى عرفه صاحبه واضطر إليه. وقيل معناه: جاءت سكرة الموت بالحق الذي هو الموت. قال مقاتل: يعني أنه حق كائن. والمراد: إن هذه السكرة قد قربت منكم فاستعدوا لها، فهي لقربها كالحاصلة، مثل قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾. وروي أن عائشة قالت عند وفاة أبي بكر:

لَعَمْرُكَ ما يُغْني الثَّراءُ عنِ الفتى ... إذا حَشْرَجَتْ(١) يوماً، وضاقَ بها الصدرُ

(١) حشرج حشرجة: غرغر عند الموت، وتردد نفسه.

فقال أبو بكر: لا تقولي ذلك، ولكنه كما قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾. ويقال لمن جاءته سكرة الموت: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك الموت ﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي: تهرب وتميل ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ قد مر تفسيره، ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ أي: ذلك اليوم يوم وقوع الوعيد الذي خوَّف الله به عباده، ليستعدوا ويقدموا العمل الصالح له.

● ● ●

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾.

● **القراءة:** قرأ نافع وأبو بكر: «يوم يقول» بالياء، والباقون: بالنون.

● **الحجة:** الياء على معنى: يقول الله تعالى، والنون أشبه بقوله: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ وقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

● **اللغة:** السَّوق: الحثُّ على السير. والحديد: الحاد، مثل الحفيظ والحافظ. والعنيد: الجائر عن القصد، وهو العنود والعاند. وناقة عنود: لا تستقيم في سيرها، والعنيد: المتجبر منه.

● **الإعراب:** ﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ ﴿مَا﴾ هاهنا نكرة موصوفة، وتقديره: هذا شيء ثابت لدي عتيد، فالظرف صفة لـ«ما»، وكذلك عتيد. ﴿جَهَنَّمَ﴾ لا ينصرف للتعريف والتأنيث، وأصله من قولهم: بئر جَهنام: إذا كانت بعيدة القعر. وقيل: هو أعجمي فلا ينصرف للتعريف والعجمة. وقوله: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ قيل فيه أقوال[1]:

أحدها: إن العرب تأمر الواحد والقوم بما يؤمر به الاثنان، تقول للرجل الواحد: قوما واخرجا. ويحكى عن الحجاج أنه كان يقول: يا حرسي اضربا عنقه، يريد: اضرب. قال الفراء: سمعت مِنَ العرب مَنْ يقول: ويلك ارحلاها، وأنشدني بعضهم:

فقُلْتُ لصاحبي: لا تَحبِسانا بِنزع أُصولِهِ، واجْتَزَّ شِيحا[2]

(١) وفي نسخة: المتجبر.

(٢) الشيح: نبات كثير الأنواع، طيب الرائحة، يوقي طبخ اللحم سريعاً، ولا تحبسنا بقلع أُصول الأشجار للشيء حتى يطول المكث بل اجتزّ الشيح واشو به.

وأنشدني أبو ثروان:

فإن تزْجُراني يا ابن عفّانَ أنْزَجِرْ وإنْ تَدَعاني أحْمِ عِرْضاً مُمَنَّعا[1]

قال: وترى أن ذلك منهم لأجل أنَّ أدنى أعوانِ الرجل في إبله وغنمه اثنان، وكذلك الرفقة أدنى ما تكون ثلاثة، فجرى كلام الواحد على صاحبيه، ألا ترى أن الشعراء أكثر شيء قيلًا: يا صاحبيَّ ويا خليليَّ، قال امرؤ القيس:

خليليَّ مُرَّا بي على أمِّ جُندُبِ، لنَقْضِيَ حاجاتِ الفُؤادِ المُعَذَّبِ
فإنَّكُما إنْ تُنظِرانيَ ليلةً مِنَ الدَّهرِ تَنْفَعْني، لدَى أُمِّ جُنْدُبِ

ثم قال:

أَلَمْ تر أني كُلَّما جِئْتُ طارقاً وَجَدْتُ بها طِيباً وإن لم تُطَيَّبِ

فرجع إلى الواحد، لأن أول الكلام واحد في لفظ الاثنين، وأنشد أيضاً:

خَليلَيَّ قُومَا في عطالةَ فانْظُرا أناراً تُرى من نَحْوِ ما بَيْنَ أمْ بَرْقا[2]

ولم يقل: تَرِيَا.

والثاني: إنه إنما ثنّى ليدل على التكثير، كأنه قال: ألق ألق، فثنى الضمير ليدل على تكرير الفعل، وهذا لشدة ارتباط الفاعل بالفعل، حتى إذا كرر أحدهما فكأن الثاني كرر، وهذا قول المازني. ومثله عنده: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ إنما جمع ليدل على التكرير، كأن قال: أرجعني أرجعني أرجعني، وحمل عليه قول امرىء القيس:

قِفا نَبْكِ مِنْ ذكرى حَبيبٍ ومَنْزِلِ

ونحو ذلك، أي: كأنه قال: قف قف.

والثالث: إن الأمر تناول السائق والشهيد، فكأنه قال: يا أيها السائق، ويا أيها الشهيد ألقيا.

والرابع: إنه يريد النون الخفيفة فكان: أَلْقَيْنَ، فأجرى الوصل مجرى الوقف، فأبدل من النون ألفاً، كما قال الأعشى:

وذا النُّسكِ المَنْصوبِ لا تنسُكَنَّهُ، ولا تَعْبُدِ الشيطانَ، والله فاعبُدا[3]

ويؤيد هذا القول ما روي عن الحسن أنه قرأ: «ألقياً» بالتنوين.

---

(١) الممنع: الممنوع شدد للمبالغة.

(٢) عطالة: جبل منيف بالسودة من ديارات بني سعد. وفي اللسان «أناراً ترى من ذي أبانين أم برقاً». وبين: اسم موضع.

(٣) قد مر البيت في ج١.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾: إن كان مبتدأ فخبره وقوله: ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ ويجوز أن يكون نصباً بمضمر يفسّره ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ ويجوز أن يكون نصباً بدلًا من قوله: ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾. ولا يجوز أن يكون جراً صفة لـ«كفار»؛ لأن النكرة لا توصف بالموصول، إنما الموصول وُصْلة إلى وصف المعارف بالجُمل.

● **المعنى:** ثم أخبر سبحانه عن حال الناس بعد البعث، فقال: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ أي: وتجيء كل نفس من المُكَلَّفين في يوم الوعيد، ومعها سائق من الملائكة يسوقها، أي: يحثها على السير إلى الحساب، وشهيد من الملائكة يشهد عليها لما يعلم من حالها، وشاهده منها وكتبه عليها، فلا يجد إلى الهرب ولا إلى الجحود سبيلًا. وقيل: السائق من الملائكة، والشهيد الجوارح تشهد عليها، عن الضحاك. ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ﴾ أي: يقال له: لقد كنت في سهو ونسيان ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ اليوم في الدنيا. والغفلة: ذهاب المعنى عن النفس ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ الذي كان في الدنيا يغشي قلبك وسمعك وبصرك، حتى ظهر لك الأمر، وإنما تظهر الأمور في الآخرة بما يخلق الله تعالى من العلوم الضرورية فيهم، فيصير بمنزلة كشف الغطاء لما يرى. وإنما يراد به جميع المُكلَّفين برهم وفاجرهم، لأن معارف الجميع ضرورية. ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي: فعينك اليوم حادة النظر لا يدخل عليها شك ولا شبهة. وقيل معناه: فعلمك بما كنت فيه من أحوال الدنيا نافذ، ولا يراد به بصر العين، كما يقال: فلان بصير بالنحو والفقه. وقيل: هو خاص في الكافر، أي: فأنت اليوم عالم بما كنت تنكره في الدنيا، عن ابن عباس.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ يعني الملك الشهيد عليه، عن الحسن. وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام. وقيل: قرينه الذي قُيض له من الشياطين، عن مجاهد. وقيل: قرينه من الإنس، ﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ إنه كان المراد به المَلَك الشهيد، فمعناه: هذا حسابه حاضر لدي في هذا الكتاب، أي: يقول لربه: كنت وكّلتني به فما كتبت من عمله حاضر عندي، وإن كان المراد به الشيطان أو القرين من الإنس، فالمعنى: هذا العذاب حاضر عندي، معد لي بسبب سيئاتي. ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ هذا خطاب لخازن النار. وقيل: خطاب للمَلَكَيْن الموكَّلَيْن به، وهما السائق والشهيد، عن الزجاج. وقد ذكرنا ما قيل فيه. وروى أبو القاسم الحسكاني بالإسناد عن الأعمش أنه قال: حدثنا أبو المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى لي ولعليّ: ألقيا في النار من أبغضكما، وأدخلا الجنة من أحبكما، وذلك قوله: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾». والعنيد: الذاهب عن الحق وسبيل الرشد. ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ الذي أمر الله به من بذل المال في وجوهه ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم متجاوز يتعدى حدود الله ﴿مُّرِيبٍ﴾ أي: شاكٍّ في الله وفيما جاء من عند الله. وقيل: متهم يفعل ما يرتاب بفعله، ويظن به غير الجميل، مثل «المليم» الذي يفعل ما يلام عليه. وقيل: إنها نزلت في الوليد بن المغيرة حين استشاره بنو أخيه في الإسلام فمنعهم، فيكون المراد بالخير الإسلام. ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ من الأصنام والأوثان ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ هذا تأكيد للأول، فكأنه قال: افعلا ما أمرتكما به فإنه مستحق لذلك.

و﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ أي: شيطانه الذي أغواه، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة. وإنما سمي قرينه لأنه يقرن به في العذاب. وقيل: قرينه من الإنس، وهم علماء السوء والمَتْبُوعُون. ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ أي: ما أضللته وما أوقعته في الطغيان باستكراه، أي: لم أجعله طاغياً، ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ﴾ من الإيمان ﴿بَعِيدٍ﴾ أي: ولكنه طغى باختياره السوء، ومثل هذا قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى لهم ﴿لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ﴾ أي: لا يخاصم بعضكم بعضاً عندي، ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ في دار التكليف ولم تنزجروا وخالفتم أمري. ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ المعنى: إن الذي قدمته لكم في دار الدنيا من أني أعاقب من جحدني، وكذب رسلي، وخالفني في أمري لا يبدل بغيره، ولا يكون خلافه. ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أي: لست بظالم أحداً في عقابي لمن أستحقه، بل هو الظالم لنفسه بارتكابه المعاصي التي استحق بها ذلك، وإنما قال: ﴿بِظَلَّٰمٍ﴾ على وجه المبالغة رداً على من أضاف الظلم إليه تعالى، وتقدّس عن ذلك.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ يتعلق يوم بقوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ الآية. وقيل: يتعلق بتقدير: اذكر يا محمد ذلك اليوم الذي يقول الله فيه لجهنم: هل امتلأت من كثرة ما أُلقِيَ فيك من العصاة؟ ﴿وَتَقُولُ﴾ جهنم ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾. قال أنس: طلبت الزيادة. وقال مجاهد: المعنى معنى الكفاية، أي: لم يبق مزيد لامتلائها، ويدل على هذا القول قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. وقيل في الوجه الأول: إن هذا القول كان منها قبل دخول جميع أهل النار فيها، ويجوز أن تكون تطلب الزيادة على أن يزاد في سعتها، كما جاء عن النبي ﷺ أنه قيل له يوم فتح مكة: ألا تنزل دارك؟ فقال: وهل ترك لنا عقيل من دار؟ لأنه كان قد باع دور بني هاشم لما خرجوا إلى المدينة. فعلى هذا يكون المعنى: وهل بقي زيادة؟ فأما الوجه في كلام جهنم فقيل فيه وجوه:

أحدها: إنه خرج مخرج المثل، أي: أن جهنم من سعتها وعظمتها بمنزلة الناطقة التي إذا قيل لها: هل امتلأت؟ تقول: لم أمتلىء، وبقي فيَّ سعة كثيرة. ومثله قول عنترة:

فـازْوَرَّ مَـن وَقْـعِ الـقَـنـا بِـلَبـانِـهِ   وشـكـا إلـيَّ بِـعَـبْـرَةٍ وتَـحَـمْـحُـمِ(١)

قال آخر:

امـتـلأَ الـحَـوْضُ وقـالَ: قَـطْـنـي   مـهـلًا رُوَيْـداً قـد مـلأتَ بَـطْـنـي(٢)

وثانيها: إنه سبحانه يخلق آلة الكلام فتتكلم، وهذا غير منكر، لأن من أنطق الأيدي والجوارح والجلود قادر على أن ينطق جهنم.

(١) مرّ البيت في ج٦.
(٢) مر البيت أيضاً في ج١.

وثالثها: إنه خطاب لخَزَنَة جهنم على وجه التقرير لهم، هل امتلأت جهنم؟ فيقولون: بلى لم يبق موضع لمزيد، ليعلم الخلق صدق وعده. عن الحسن قال: ومعناه: ما من مزيد، أي: لا مزيد، كقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ وهو قول واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد.

●●●

قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾.

● **القراءة**: قرأ أهل الحجاز وحمزة وخلف: «وإدبار» بكسر الهمزة. والباقون: «وأدبار السجود» بالفتح. وفي الشواذ قراءة ابن عباس وأبي العالية ويحيى بن يعمر: «فنقِّبوا في البلاد» بكسر القاف، وقراءة السدي: «وأُلقي السمع»، وقراءة أبي عبد الرحمٰن السلمي وطلحة: «وما مسنا من لَغوب» بفتح اللام.

● **الحجة**: قال أبو علي: «إدبار» مصدر، والمصادر تجعل ظروفاً على إرادة إضافة أسماء الزمان إليها وحذفها، كقولك: جئتك مقدم الحاج، وحفوق النجم، وخلافة فلان، تريد في ذلك كله وقت كذا. فكذلك يقدر هنا وقت إدبار السجود، إلا أن المضاف المحذوف في هذا الباب لا يكاد يظهر ولا يستعمل. فهذا أُدْخِلَ في باب الظروف من قول من فَتح، فكأنه أمر بالتسبيح بعد الفراغ من الصلاة. ومن فتح جعله جمع دُبُر أو دِبْر مثل قُفل وأقفال، وطُنب وأطناب. وقد استعمل ذلك ظرفاً نحو: جئتك في دبر الصلاة وفي أدبار الصلاة. قال أوس ابن حجر:

على دُبُرِ الشهرِ الحرامِ بأرْضِنا، وما حَوْلَها جَدْبٌ، سِنُونٌ تَلَمَّعُ[1]

وأما من قرأ: «فنقِّبوا» فقد قال ابن جني: إنه: فَعِّلوا من النقب، أي: ادخلوا وغوِّروا في الأرض، فإنكم لا تجدون لكم محيصاً. وقوله: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ معناه: أو أُلقي السمع منه، وقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ فيمكن أن يكون من المصادر التي جاءت على فعول، بفتح الفاء،

---

(١) تلمعت السنة كما قيل: عام أبقع أي: فهي خصب وجدب.

كالوضوء والولوغ والوزوغ والقبول، وهي صفات مصادر محذوفة، أي: توضأت وضوءاً، أي: وضوءاً[1] حسناً، وكذلك هذا، أي: وما مسنا من لغوبٍ، أي: تعبٌ متعب.

● **اللغة:** الإزلاف: التقريب إلى الخير، ومنه الزلفة، والزلفى. وازدلف إليه أي: اقترب. والمزدلفة: منزلة قريبة من الموقف، وهو المشعر وجمع، ومنه قول الراجز:

نـاجٍ طـواه الأيـنُ مـمـا أوْجَـفـا طـيَّ الـلَّيـالـي زُلَفـاً فـزُلَـفـا
سـمـاوَةَ الـهِـلَالِ حـتـى احـقَـوْقَـفـا[2]

والتنقيب: التفتيح بما يصلح للسلوك، وهو من النقب الذي هو الفتح. قال امرؤ القيس:

لـقـد نَـقَّـبْـتُ فـي الآفـاقِ حـتـى رَضِـيْـتُ مِـنَ الـغَـنِـيـمَـةِ بـالإيـابِ

أي: طوَّفت في طرقها وسرت في نقوبها. واللغوب: الإعياء.

● **الإعراب:** ﴿غَيۡرَ بَعِيدٍ﴾ صفة مصدر محذوف تقديره: إزلافاً غير بعيد، ويجوز أن يكون منصوباً على الحال من الجنة. ولم يقل: غير بعيدة لأنه في تقدير النسب، أي: غير ذات بعد. وقوله: ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ يجوز أن يكون في موضع رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف، أي: هو لكل أواب. ولا يجوز أن يكون خبراً بعد خبر، تقديره: هذا الموعود هذا لكل أواب حفيظ ولا يجوز أن تتعلق اللام بـ﴿تُوعَدُونَ﴾ لأن الأوابين هم الموعودون، لا الموعود لهم. ﴿مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾ ويجوز أن يكون في محل جر على البدل من أواب، فيتم الكلام عند قوله: ﴿وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ﴾. ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره محذوف على تقدير: يقال لهم: ادخلوها، فعلى هذا يكون تمام الكلام عند قوله: ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ﴾. ويقتضي أن يكون ادخلوها خطاباً للمتقين، وتقديره: وتزلف الجنة للمتقين، ويقال لهم: ادخلوها بسلام.

● **المعنى:** لما أخبر سبحانه عما أعده للكافرين والعصاة، عقَّبه بذكر ما أعده للمتقين، فقال: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ أي: قُرِّبَتْ الجنة وأُدنيَت للذين اتقوا الشرك والمعاصي، حتى يروا ما فيها من النعيم. والجنة: هي البستان التي تجمع كل لذة من الأنهار والأشجار وطيب الثمار، ومن الأزواج الكرام والحور الحسان، والخدم من الولدان، ومن الأبنية الفاخرة المُزيَّنة بالياقوت الزمرد والعقيان، نسأل الله التوفيق لما يقرب من رضاه. ﴿غَيۡرَ بَعِيدٍ﴾ أي: هي قريبة منهم لا يلحقهم ضرر ولا مشقة في الوصول إليها. وقيل معناه: ليس ببعيد مجيء ذلك، لأن كل آت قريب. ومثله قول الحسن: كأنك بالدنيا كأن لم تكن، وبالآخرة كأن لم تزل. ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ أي: هذا الذي ذكرناه هو ما وعدتم به من الثواب على ألسنة الرسل. ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ أي: تواب

---

(١) وفي بعض النسخ: وَضوءاً حسناً.

(٢) ناج: البعير السريع ينجو بمن ركبها. والأين: الإعياء وما في مما أوجفا مصدرية أي: من إيجافه، وهو اعدائه. وسَماوة الهلال أي: شخصه. واحقوقب الهلال: اعوجّ وكل ما طال واعوجّ فقد احقوقف، كظهر البعير، وشخص القمر. وقد مر البيت في ج٥.

رجّاع إلى الطاعة، عن الضحاك وابن زيد. وقيل: لكل مسبح، عن ابن عباس وعطاء. ﴿حَفِيظٍ﴾ لما أمر الله به، مُتحَفِّظ من الخروج إلى ما لا يجوز من سيئة تدنسه، أو خطيئة تحط منه وتشينه. ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: هو من خاف الله وأطاعه وآمن بثوابه وعقابه ولم يره. وقيل: بالغيب أي: في الخلوة بحيث لا يراه أحد، عن الضحاك والسدي. ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ أي: ودام على ذلك حتى وافى في الآخرة بقلب مقبل على طاعة الله، راجع إلى الله بضمائره. ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ أي: يقال لهم: ادخلوا الجنة بأمان من كل مكروه وسلامة من كل آفة. وقيل: بسلام من الله وملائكته عليهم، ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ الوقت الذي يبقون فيه في النعيم مؤبدين لا إلى غاية ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ أي: لهم في الجنة ما تشتهيه أنفسهم ويريدونه من أنواع النعم، ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ أي: وعندنا زيادة على ما يشاءُونه مما لم يخطر ببالهم، ولم تبلغه أمانيهم. وقيل: هو الزيادة على مقدار استحقاقهم من الثواب بأعمالهم.

ثم خوّف سبحانه كفار مكة، فقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي: كثيراً أهلكنا قبل هؤلاء من القرون الذين كذبوا رسلهم، ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ أي: الذين أهلكناهم كانوا أشد قوة من هؤلاء وأكثر عِدة وعُدة[1] ولم يتعذر علينا ذلك، فما الذي يؤمّن هؤلاء من مثله؟ ﴿فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ أي: فتحوا المسالك في البلاد بشدة بطشهم، أصله من النقب وهو الطريق. وقيل معناه: ساروا في البلاد وطوّفوا فيها بقوتهم، وسلكوا كل طريق، وسافروا في أعمال طويلة. ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ أي: هل من محيد عن الموت ومنجىً من الهلاك؟ يعني لم يجدوا في جميع ذلك من الموت والهلاك منجىً ومهرباً. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: فيما أخبرته وقصصته ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ أي: ما يعتبر به ويتفكر فيه ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ معنى القلب هنا العقل، عن ابن عباس. من قولهم: أين ذهب قلبك؟ وفلان قلبه معه. وإنما قال ذلك، لأن من لا يعي الذكر، لا يعتد بما له من القلب. وقيل: لمن كان له قلب حي، عن قتادة. ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: استمع ولم يشغل قلبه بغير ما يستمع، وهو شهيد لما يسمع فيفقهه، غير غافل عنه ولا ساه، عن ابن عباس ومجاهد والضحاك. يقال: ألق إليَّ سمعك، أي: اسمع.

قال ابن عباس: كان المنافقون يجلسون عند رسول الله ﷺ ثم يخرجون فيقولون: ماذا قال آنفاً[2]؟ ليس قلوبهم معهم. وقيل: هو شهيد على صفة النبي في الكتب السالفة، يريد أهل الكتاب، عن قتادة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ أي: نصب وتعب، أكذب الله تعالى بهذا اليهود، فإنهم قالوا: استراح الله يوم السبت، فلذلك لا تعمل[3] فيه شيئاً. ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ يا محمد من بهتهم وكذبهم وقولهم أنك ساحر، أو مجنون، واحتمل ذلك حتى يأتي الله بالفرج، وهذا قبل أن أمر الله بالقتال، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: وصلِّ واحمد الله تعالى. سَمّى الصلاة تسبيحاً لأن الصلاة تشتمل على التسبيح والتحميد، عن

---

(١) في المخطوطة: مدة بدل عدة.
(٢) فيها أيضاً [أي].
(٣) وفي بعض النسخ: لا نعمل.

ابن عباس وقتادة وابن زيد. وقيل: أراد به التسبيح بالقول تنزيهاً لله تعالى عما لا يليق به. ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ يعني صلاة الفجر، وصلاة الظهر، والعصر، عن قتادة وابن زيد، ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ يعني المغرب والعشاء الآخرة. وقيل: ومن الليل يعني صلاة الليل، ويدخل فيه صلاة المغرب والعشاء، عن مجاهد. وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ فقال: تقول حين تصبح وحين تمسي عشر مرات: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير. ﴿وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ فيه أقوال:

أحدها: إن المراد به الركعتان بعد المغرب، وأدبار النجوم: الركعتان قبل الفجر، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، والحسن بن علي عليه السلام، والحسن والشعبي. وعن ابن عباس مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وآله.

وثانيها: إنه التسبيح بعد كل صلاة، عن ابن عباس ومجاهد.

وثالثها: إنه النوافل بعد المفروضات، عن ابن زيد والجبائي.

ورابعها: إنه الوتر من آخر الليل، روي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام.

●●●

قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾.

● **الإعراب**: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ تقديره: واستمع حديث يوم ينادي المنادي، فحذف المضاف وهو مفعول به، وليس بالظرف. و﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ﴾ بدل من ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾وكذلك ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ﴾. ويجوز أن ينتصب ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ﴾ بقوله: ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: يصيرون إلينا في ذلك اليوم.

● **المعنى**: ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله، والمراد به جميع المُكلَّفين: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي: اصغ إلى النداء وتوقعه، يعني صيحة القيامة والبعث والنشور، ينادي بها المنادي وهي النفخة الثانية. ويجوز أن يكون المراد: واستمع ذكر حالهم يوم ينادي المنادي. وقيل: إنه ينادي مناد من صخرة بيت المقدس: أيتها العظام البالية، والأوصال المنقطعة، واللحوم المُتَمَزِّقة، قومي لفصل القضاء، وما أعد الله لكم من الجزاء، عن قتادة. وقيل: إن المنادي هو إسرافيل يقول: يا معشر الخلائق! قوموا للحساب، عن مقاتل. وإنما قال: ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ لأنه يسمعه الخلائق كلهم على حد واحد، فلا يخفى على أحد قريب ولا بعيد، فكأنهم نودوا من مكان يقرب منهم. ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾ والصيحة: المرة الواحدة من الصوت الشديد،

وهذه الصيحة[١] هي النفخة الثانية. وقوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالبعث، عن الكلبي. وقيل: يعني أنها كائنة حقاً، عن مقاتل. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ من القبور إلى أرض الموقف. وقيل: هو اسم من أسماء القيامة، عن أبي عبيدة، واستشهد بقول الشاعر:

أليس يومٌ سُمِّيَ الخروجا أعظمُ يوم رَجَّةً رجوجا

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾: أخبر سبحانه عن نفسه أنه هو الذي يحيي الخلق بعد أن كانوا جماداً أمواتاً، ثم يميتهم بعد أن كانوا أحياء، ثم يحييهم يوم القيامة، وهو قوله: ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: تشقق ﴿ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ تتصدع، فيخرجون منها ﴿سِرَاعًا﴾ يسرعون إلى الداعي بلا تأخير ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ﴾ والحشر: الجمع بالسَّوْق من كل جهة، ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾أي سهل علينا غير شاق، هيِّن غير متعذر مع تباعد ديارهم وقبورهم. ثم عزّى سبحانه نبيه ﷺ فقال: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: بما يقوله هؤلاء الكفار في تكذيبك، وجحود نبوتك، وإنكار البعث، لا يخفى علينا من أمرهم شيء، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ أي: بمُسَلَّط قادر على قلوبهم فتجبرهم على الإيمان، وإنما بُعِثْتَ منذراً داعياً مُرَغباً، وهذا معنى قول ابن عباس. وقال تغلب: جاءت أحرف على فَعّال بمعنى مُفعِل مثل دَرَّاك بمعنى مُدرك، وسَرَّاع بمعنى مسرع، وسيف سَقَّاط بمعنى مسقط، وبكّاء بمعنى مُبكي. قال علي بن عيسى: لم يسمع من ذلك إلا دراك من أدركت. وقيل: جبار من جَبَرْتَه على الأمر بمعنى أجْبرته، وهي لغة كنانة. وقيل معناه: ما أنت عليهم بفظ غليظ لا تحلم عنهم، فاحتمل أذاهم. ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ إنما خصَّ بالذكر من يخاف وعيد الله، لأنه الذي ينتفع به.

(١) وفي نسخة: من النفخة الثانية.